مجلة العلوم الإنسانية لجامعة أم البواقي
ISSN 1112-9255
المجلد5،العدد2 – ديسمبر 2018

OEB Univ. Publish. Co.

التجديد في المجال التربوي والثقافي عند الشيخ البشير الإبراهيمي.

Or the principle of equality in the field of public

أ. براهيم بريك*، جامعة الأمير عبد القادر، الجزائر.
adelinffo@hotmail.com

تاريخ التسليم:(2018/06/20)، تاريخ التقييم:(2018/11/10)،تاريخ القبول:(2018/11/14)

ملخص :

يهدف هذا البحث النظري إلى الكشف عن كيفية تصدي الشيخ البشير الإبراهيمي، لسان حال حركة الإصلاح في الجزائر للمضامين التربوية والثقافية السائدة في الحقبة الاستعمارية وكيفية تجديدها حتى تؤدي دورها في إصلاح الأمة والحفاظ على هويتها الإسلامية، وتحرير العقول من البدع والخرافات.

وقد استخدم المنهج التاريخي والوصفي لطبيعة الموضوع الذي يقتضي تعدد المناهج، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

– تصحيح مفهوم التجديد والاعتماد على مؤسسات التنشئة الاجتماعية في عملية التجديد.

– إحياء دور العلماء وتوجيههم للمجال التربوي.

– الاهتمام بالبعد الإعلامي، ويرجع الفضل له في إنشاء الصحافة الحديثة.

– الاهتمام بالكتابة من خلال جريدة البصائر.

الكلمات المفتاحية: التجديد، التربية، الثقافة، الإصلاح، المضامين.

Abstract :

This theoretical research aims to highlight the approach used by the Sheikh El Ibrahimi, spokesman of the Movement Il Islah in Algeria, reflecting the state of society in order to defeat the educational and cultural contents that prevailed during the colonial period and from there, the way to renew their contents so that they can play a role in the preservation of the national Muslim identity and the refoundation of the nation by returning to its referents by ridding it of the slags of mythology , superstitions and heresy. As such, historical and linguistic approaches were used because of the nature of the theme that required a multidisciplinary approach. Thus the study has achieved the following results: 1- The need to correct the concept of renewal relying mainly on social institutions in the process of renewal, 2- The reactivation of the role of ulemas and their involvement in the educational field, 3- Taking into account the scope of Information by launching new bodies in this area, and finally 4- The need for writing on various themes and its impact, which he did through the El Bassaier Review.

Key words : Renewal- Education -Culture- refoundation- Contents.

.

* المؤلف المراسل: أ. براهيم بريك ، الإيميل: **adelinffo@hotmail.com**

مقدمة:

يعتبر التجديد في المجال التربوي والثقافي من المواضيع الحديثة التي كثر السجال حولها في الآونة الأخيرة، نظرا لارتباطها الوثيق بالقضايا التربوية والتعليمية، واعتبرها المنظرون من صميم القضايا الاجتماعية التي نالت اهتمام الباحثين بمختلف مشاربهم وتوجهاتهم الفكرية.

في الوقت الذي طغى فيه التعدد المذهبي والتعصب والإرهاب الفكري في المجتمعات العربية والتي كانت إشارة واضحة على التوازن الاجتماعي وساهمت في تصدع البناء الاجتماعي للمجتمعات العربية بصفة عامة والمجتمع الجزائري بصفة خاصة، لهذا كانت الرغبة جامحة في التحليل النظري لظاهرة التجديد التربوي والثقافي عند جمعية العلماء المسلمين ممثلة في العلامة الشيخ البشير الإبراهيمي الذي ساهم بأطروحاته المستفيضة في إصلاح العقيدة وتصفيتها من البدع والخرافات، فأردنا بذلك تقويم تجربة العلامة في إسهاماته في إثراء الفكر الإصلاحي في العصر الحديث، بالإضافة إلى إبراز مشروع واضح المعالم والأهداف للمشروع الإصلاحي، فكان هدف البحث هو الكشف عن سيرورة الفكر والتفكير التي قطعها الفكر الإسلامي استجابة للمتطلبات التي تمليها الوقائع والتحولات، بالإضافة إلى توضيح الصلة الوثيقة بين مفهوم الاجتهاد ومفهوم التجديد والربط بينهما وفقا لمتطلبات العصر الحديث الذي يفرض المرونة ويساهم في تقليص الهوة بين الفقهاء.

في هذا السياق تأتي دراستنا الراهنة حول التجديد في المجال التربوي والثقافي عند الشيخ الإبراهيمي.

ثانيا- الإشكالية

يعرف مجتمعنا العربي اليوم عدة تحولات مست جميع مناشط الحياة الاجتماعية، السياسية والثقافية، ولم يسلم الجانب العقيدي والتعبدي من هذا التحول، الذي خلف آثار واضحة على الجانب التربوي والثقافي، مما استوجب على القائمين على الحقل المعرفي والإصلاحي إلى ضرورة التصدي للانحراف وتصحيح الفهم الخاطئ للتعاليم الدينية وتقويم السلوكات الخاطئة، حيث تبنت الحركات الإصلاحية في ربوع الوطن هذا المسعى، والجزائر إحدى هاته الدول التي تبنت المنهج الإصلاحي من خلال المبادئ التي قامت عليها جمعية العلماء المسلمين.

إن المتصفح للتراث الأدبي والفكري التي تناولت القضايا التربوية والثقافية ومدى تحديدها ومسايرتها للتحولات التي باتت تهدد كيان المجتمع، يلاحظ للوهلة الأولى أن التجديد التربوي والثقافي كان من أولويات جمعية العلماء المسلمين في رسالتها التربوية والمجتمعية من أجل تحرير العقول من الأوهام والخرافات.

وهذا المسعى ليس بالشيء الهين، ولا يتأتى إلا للعلماء المصلحين، وتجربة الشيخ الإبراهيمي في هذا الإطار خير نموذج نستدل به في هذه الورقة البحثية، ويعد الميدان التربوي والثقافي إحدى الركائز الأساسية في تقويم المجتمع، والذي يستند على مناهج وأهداف تربوية، ونظرا لتعدد الأهداف والمناهج، يطرح تساؤل نفسه بإلحاح مفاده: فيم تكمن مضامين تجديد الفكر التربوي والثقافي عند الشيخ البشير الإبراهيمي؟ وما هي أهدافه ومناهجه ومجالاته؟

للإجابة على هذا التساؤل ارتأينا أن نقسم البحث إلى عدة محاور رئيسية وأخرى فرعية أهمها:

- مقدمة.
- الإشكالية.
- مناهج التربية والتعليم عند الإبراهيمي.
- أهداف التربية والتعليم عند الإبراهيمي.
- دوائر التربية الأخلاقية ودورها عند الإبراهيمي.
- البعد الثقافي والإعلامي عند الإبراهيمي.
- خاتمة.

ثالثا- مفاهيم الدراسة

1- مفهوم التجديد

لغة: نقيض "الخلف": القديم، فالتجديد خلاف القديم، وجدد الشيء أي جعله جديدا، والجدة نقيض البلى،، ويقال: شيء جديد والجمع أجدةٌ وجُدُدٌ وجُدَدٌ (ابن منظور، 1996 ص111).

ولقد استخدمت كلمة "جديد" في القرآن الكريم بمعنى البعث والإحياء والإعادة لما كان موجودا وبلى ودرس، فمنها قوله تعالى في سورة السجدة: "أئنا لفي خلق جديد"،(سورة السجدة، الآية 10). وقوله في سورة الإسراء: وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا" (سورة الإسراء، الآية 49).

اصطلاحا: عرفه عبد الرؤوف المناوي عن العلمي بأنه: "إحياء ما ندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاها" (المناوي، 1972، ص281).

وعرفه الشيخ يوسف القرضاوي بأنه: "محاولة العودة به إلى ما كان عليه يوم نشأ وظهر، بحيث يبدو مع قدمه كأنه جديد..." (القرضاوي، 1988، ص28).

إجرائيا: هو إصلاح وإضفاء الجدة عن طريق تعديل المفاهيم والأفكار من الشوائب مسايرة للواقع المعيش.

2- التجديد في المجال التربوي

يعرف معجم علوم التربية التجديد بأنه: "عملية إبداع وإنتاج شيء أو فكرة جديدة أو التوليف بين أشياء موجودة من قبل توليفا جديدا..." (محيط المعرفة المتاح في الموقع www.mo7inana.com.2014.06/bloq-post_7721.html المسترجع بتاريخ 2017/10/27 على الساعة 20.00.

من خلال ما سبق يمكن القول بأن التجديد التربوي يعني إدخال بعض العناصر الجديدة نظريا أو منهجيا والاستفادة منها في تحديث وإعادة هيكلة وبناء بعض الأساليب والطرائق والممارسات بهدف إغناء الخبرة التربوية.

3- التجديد في المجال الثقافي

هو ذلك الجهد الفكري الذي يتجه إلى الإجابة عن تلك الأسئلة والتحديات الثقافية والفكرية، ولهذا نجد أن أقطاب التجديد الثقافي في العالم العربي والإسلامي في العصر الحديث كانوا يواكبون تطورات العصر ويجيبون على تحدياتها إجابات تنطلق من واقع الخصوصية العربية والإسلامية، وتستهدف تجديد الراي المطلوب تجاهها (بلال بدوان، *التجديد الثقافي، مفهومه وحاجاته*، دنيا الوطن، 2008، ص02 المتاح في الموقع http://pulpit.alwatanvoiice.com/coulent/print140662.html

المسترجع بتاريخ: 2017/10/28 على الساعة 20:00).

رابعا- منهجية البحث

قصد تغطية جوانب الموضوع من زواياه المختلفة، فقد تم الاعتماد على منهجين، المنهج التاريخي والمنهج الوصفي، تم اختيار المنهج التاريخي كون موضوع البحث مرتبط بالماضي وتراثه الفكري ممثلا في أطروحات الشيخ البشير الإبراهيمي في المجال الإصلاحي التربوي والثقافي ومدى تصديه للتعصب والتغيرات التي حدثت، لذا كان لزاما علينا تتبع مناهجه عن طريق استقراء الماضي ومدى تأثيره في المستقبل (زرواتي،2007، ص44).

أما الاعتماد على المنهج الوصفي كون طبيعة الموضوع الذي ينتمي للبحوث الوصفية الذي يعتمد على الوصف التحليلي

لدراسة الظواهر الإنسانية والاجتماعية.

خامسا- مناهج التربية والتعليم عند البشير الإبراهيمي

إن المتتبع لمناهج التربية خلال المرحلة الاستعمارية يلاحظ بأن المنظومة التربوية كانت فاسدة الأهداف والغايات، لأنه ركز على الحرص على تبوأ مركز وظيفية على حساب الرسالة الإسلامية، وحاول قطع الصلة بالمشكلات المجتمعية التي تعيش فيها الأمة آنذاك، وكانت الغاية الأساسية منه

مادية محضة تقربهم للحكومة الفرنسية بكل الطرق والوسائل، فحتى الشعائر الدينية الأساسية كالصلاة وتلاوة القرآن كانت تقام إرضاء للبايلك وليس للتعبد (الإبراهيمي،1971، ص303).

فالمنظومة التربوية في ذلك العصر كانت غير قادرة على مواكبة صيرورة الحياة كونها أسندت إلى هيئات غير مؤهلة ولا تتوفر على أدنى مقومات التربية والتعليم، الشيء الذي دفع بالشيخ الإبراهيمي بمهاجمة نظام التعليم، وعمل على وضع مناهج غايته تخريج مربين وعلماء يخدمون أهداف الدين ويحملون رسالة الإسلام، وحدد برنامجا حافلا للتعليم العربي الحر، ضمنه أصولا عظيمة من علوم التربية فأخرج للأمة جيلا يفهم الحياة ويقدرها حق قدرها ويتذرع إليها بالأخلاق المتينة ، وهذا هو أمل جمعية العلماء بقيادة الإبراهيمي المتمثل في تحقيق جيل الأمة المنشود الذي يشارف السلف في عقائده، وعباداته وأخلاقه وصلته بالمصطفى محمد –صلى الله عليه وسلم– وقربه من الله (لإبراهيمي،1971، ص377).

وقد امتاز المنهج الذي اعتمده الإبراهيمي عن المناهج المعاصرة ما يلي:

1– اعتماد مسلك التربية قبل التعليم: لأنّه يعلم أنّ العلم المجرّد من التربية الصالحة لا ينفع وقد يكون بلاء على صاحبه، ووبالاً على النّاس، كما هو مشهود في آثار العلوم الغربية في أصحابها وتداعيات ذلك على المقلّدين من أبناء هذه الأمّة (الإبراهيمي،1971، ص377).

2– تجاوز الجزئيات التي أفرزتها النزعة المذهبية: فلم يقتصر المنهاج على تدريس علوم الشريعة التي حدّدها المذهب، وإنّما تكاملت فيه العلوم الدّينية والدنيوية على حدّ سواء.

فالعلوم حسب مفهوم الإبراهيمي كلُّها إسلامية، وتنقسم إلى قسمين، شرعية وغير شرعية. فالشرعية ما استفيد من الوحي، وغير الشرعية ما أرشد إليها العقل كالطّب والحساب.

فالإبراهيمي إذْ يركّز على ضرورة الجمع بين العلمين، علم الدين، وعلم الحياة، فإنّه يؤكد على ضرورة التخصّص والتمكين في كلّ العلوم، وخاصة الدينية منها، مع الاهتمام الواسع بعلوم الحياة التي هي سلاح العصر (الإبراهيمي،1971، ص57). دون تغليب اهتمام على اهتمام، لأنّه يرى بأنّ من يقتصر في تكوينه على العلوم الدنيوية دون الشّرعية، يضيع عمره فيما لا ينفعه في الآخرة، ومن يقتصر على علوم الدين وحدها لا يفهم في الدين إلاّ ظاهره وقشوره، وقد ينشأ إذا أغفل جانبًا منهما أو أولى اهتمامًا متزايدًا لأحدهما على حساب الآخر، ما لا يحصى من المضار والمفاسد (الإبراهيمي،1971، ص354).

وقد جسّد هذه الأفكار، والجمع بين الثقافتين فيما أعدّه من برنامج، والذي سطّره كمنهاج للمعهد الذي حمل اسم رائد النهضة "عبد الحميد بن باديس" الذي عنى بالرياضيات والطبيعيات، فكانت بحقّ تجربة موفّقة بلغت الغاية من النجاح (الإبراهيمي،1971، ص282).

3- السّعي إلى توحيد منهاج التربية وبرنامج التعليم: لا تكتمل صورة البرنامج والمنهج الذي أعدّه الإبراهيمي في صورته النهائية، ولا تتحقّق الغاية والأهداف والنتائج المرجوّة منه، إلاّ بتوحيد منهاج التربية وبرنامج التعليم، ولا يتمّ توحيد المنهاج والبرنامج إلاّ بتوحيد الإدارة، ولا يتمّ توحيد الإدارة إلاّ بتوحيد الإشراف العام.

هذه هي المعاني التي دعت الإبراهيمي إلى جمع المدارس العربية تحت إدارة واحدة وإشراف واحد، وإلى حشر المعلّمين تحت لواء واحد، لأنّه أدرك بأنّ توحيد الغايات لا تأتي إلاّ إذا توحّدت الوسائل فيتحقق المراد (الإبراهيمي،1971، ص304).

سادسا- أهداف التربية والتعليم عند البشير الإبراهيمي

كان من الأهداف الأساسية لجمعية العلماء المسلمين برئاسة الإبراهيمي، هي إعداد جيل راشد عن طريق توحيد مناهج الدراسة، وكان رجاء الإبراهيمي منعقدا في أن يؤدي "المرشد" الذي وضعه بنفسه وبين وظيفته المتمثلة في توحيد أفكار هذا الجيل، وفي تصحيح اتجاهه في العالم والحياة (الإبراهيمي، 1985، ص159).، ويكون ذلك على أساس العقيدة الصحيحة والأخلاق الإسلامية الفاضلة.

لذلك رسم الإبراهيمي معالم حركته في مجال الإصلاح العلمي بوضوح، فقال: "إن المهمة التي تقوم بها جمعية العلماء المسلمين بأدائها -وهي السير بهذه الأمة إلى الحياة عن طريق العلم والدين- وهي أقوم الطرق وأمثلها وأوفقها لمزاج الأمة" (الإبراهيمي،1985، ص67).

وانطلاقا من رصيد معالم حركته في مجال التربية والتعليم، نورد أهم الأهداف التربوية التعليمية التي كشف فيها عن ثقافة تربوية عميقة كما يلي:

1- إصلاح العلماء صلاح الأمة: لقد اتضح أن مناهج الإصلاح التي اعتمدها المصلحون تقوم على أساس التربية والتعليم، فهم مقتنعون بأن التقدم والتطور لا يتحقق إلا بأسلوب التربية والتعليم الذي به يتحقق إصلاح العلماء، ففي صلاحهم صلاح للأمة، وذلك لما لهم من التأثير المباشر والقوي في كل المجالات.

فالإبراهيمي يؤمن إيمانا عميقا بأهمية العلم ودوره الرئيس في نهضة الأمم والشعوب، ولذلك فهو يعلق آمالا كبيرة على العلماء والمثقفين الذي يناط بهم مسؤولية تربية وتوجيه الأمة، فهو الذي يقول: "المثقفون في الأمم الحية هم خيارها وسادتها وقادتها وحراس عزها ومجدها تقوم الأمّة نحوهم بواجب الاعتبار والتقدير. ويقومون هم لها بواجب القيادة والتدبير. وما زالت عامّة الأمم -من أوّل التاريخ تابعة لعلمائها وأهل الرأي والبصيرة فيها، تحتاج إليهم في أيام الأمن وفي أيام الخوف. تحتاج إليهم في الأمن لينهجوا لها سبيل السعادة في الحياة. ويغذّونها من علمهم وآرائهم بما يحملها على الاستقامة والاعتدال.

وتحتاج إليهم في أيام الخوف، ليحلّوا المشكلات المعقّدة ويخرجوها من المضائق محفوظة الشّرف والمصلحة" (الإبراهيمي،1985، ص351).

ولأهمية الدور الكبير الذي يلعبه العلماء في إصلاح الفرد والمجتمع، نجده يؤكد عليهم في النّصح، حيث يهيب بهم ويدعوهم إلى إصلاح أنفسهم قبل دعوتهم لغيرهم.

وإنّ أوّل واجب يضعه على عاتق المثقفين، هو أن يقوموا أولاً بإصلاح أنفسهم قبل كلّ شيء، لأنّه لا يمكن أن يؤدي دور المصلح من يفتقد إليه، وفاقد الشيء لا يُعطيه، ثم يأتي دور وواجب استكمال ما نقص من المؤهّلات العلمية والتثقيفية. أمّا ثاني واجب يراه، هو العزم على إصلاح المجتمع (الإبراهيمي، 1985، ص355).

2- إعداد الفرد الجزائري للحياة: بالرّجوع إلى المنهاج الذي سطّره الإبراهيمي وحدّد ملامحه لجميع الصفوف، فإنّنا نجده يحرص على إعداد الفرد الجزائري إعداداً كاملاً يشمل جميع مناحي الحياة، فهو يرى أنّ تربية الفرد وإعداده يُعتبر من أهم أهداف العملية التربوية.

من أجل ذلك تبنّى خطة شاملة، تهدف إلى إعداد الفرد إعداداً قويماً. وفي هذه الخطة تكاملت جميع المؤسّسات والهيئات بما يحقق مصلحة الفرد، فجاء التركيز بالدرجة الأولى على الأجيال الناشئة، فعمد برفقة إخوانه إلى الإشراف على بناء المدارس، ودور القرآن الكريم، والدّراسات الشّرعية وغيرها، وانتدب لها مشاهير العلماء من ذوي الكفاءات العالية الذين تخرّجوا من مواطن العلم والعلماء، ليضطلعوا بالمهمّة النبيلة التي يعلّق عليها –الإبراهيمي– وإخوانه كلّ الآمال وليتربّى على أيديهم جيل صالح للحياة، لها وبها ومعها، نافعاً محبّاً محبوباً (الإبراهيمي،1985، ص156).

كما اعتبر الإبراهيمي نظام التعليم القائم، نظاماً فاسد الأهداف والغايات، لأنّه في نظره لا يعمل على خدمة أهداف رسالة الإسلام، بل يُحقّق أهدافاً، لا ترقى إلى مستوى تطلعات الأمّة، ولذلك نجده يوجّه نقده في غير تردّد إلى واقع وحال التعليم، إذ يقول لهم مخاطباً "أنتم في وضعكم العلمي– أبناء مدارس **(يشير إلى الحالة السيّئة التي كان عليها التعليم الديني والعربي في عهده)**، وجودها في زمان وروحها في زمان، فهي في يقظتها في حلم، وهي مع جدّة الزمان في قِدم، وهي لا تعطي من الحياة إلاّ صورها الميّتة، وهياكلها العظمية، وألوانها الحائلة.... فلم تزكّ النفوس التي جاء القرآن لتزكيتها، ولم تهيئها لسعادة الدنيا، ولا لسعادة الآخرة، ولم ترفع العقل من درجة الحجر إلى درجة الاستقلال في التعقّل، ولم تُصّحح موازينه في إدراك الحياة وفقه أسرارها" (الإبراهيمي، 1971، ص294).

3- أهمية التربية السلوكية في العملية التربوية: إنّ أساس فلسفة التعليم عند الإبراهيمي تهدف إلى تحقيق السعادة للإنسان، وذلك بتظافر العلم والعمل، بحيث ينتج عن هذا التظافرْ تغييراً في السلوك، وما لم يتغير السلوك لم تحصل هذه السعادة.

ومن هنا اتّجهت فلسفة الإبراهيمي إلى تحقيق كمال حياة الفرد والمجتمع معًا عن طريق بناء الشّخصية الفردية والجماعية للجزائريين بناء متكاملاً في جوانبها الرّوحية والمادية.

وأولّ خطوة في هذا الاتّجاه هو العمل على تحقيق المبدأ القائم على الرّبط بين الهدف والسّلوك، وتكوين الاتجاه السّلوكي الأخلاقي قبل كلّ شيء، ولهذا كان يشدّد في الحرص على أن ينال التلميذ حظّه من الأخلاق قبل التعلّم، حيث نجده يقول: "احرصوا كلّ الحرص على أن تكون التربية قبل التعليم، واجعلوا الحقيقة الآتية نصب أعينكم، واجعلوها حاديكم في تربية هذا الجيل الصّغير وهاديكم في تكوينه وهي. أنّ هذا الجيل الذي أنتم منه لم يؤت في خيبته في الحياة من نقص العلم، وإنّما خاب أكثر ما خاب من نقص في الأخلاق، فمنها كانت الخيبة، ومنها كان الإخفاق" (الإبراهيمي،1971، ص290).

لقد أدرك الإبراهيمي أهمية هذا العنصر ومدى أهمية السّلوك التربوي في حياة شباب الأمّة والأجيال النّاشئة في الارتقاء بالإنسان من مستوى الخضوع للشهوات والأهواء إلى مقام العبودية لله، حيث يتحرّر الفرد من الخضوع للشهوات والخوف، وينصرف طبقًا لمراد الله سبحانه وتعالى.

لذلك نجده يوصي أكثر فأكثر إلى ضرورة التحلّي بالأخلاق، لأنّ الكمال الإنساني لا يمكن أن يتحقّق إلاّ عن طريق الأخلاق الفاضلة، فقال: مخاطبًا الطلبة قائلاً: "لا يضيركم ضعف حظّكم من العلم إذا وفر حظّكم من الأخلاق الفاضلة، فإنّ أمّتكم في حاجة إلى الأخلاق والفضائل، إنّ حاجتها إلى الفضائل أشدّ وأوكد من حاجتها إلى العلم، لأنّها ما سقطت هذه السّقطة الشنيعة من نقص في العلم، ولكن من نقص في الأخلاق" (الإبراهيمي، 1971، ص296).

4- البعد الغائي من التربية والتعليم: كانت التربية في نظر الشيخ الإبراهيمي، هي الطريقة المثلى لغرس التعاليم الإسلامية في عقول الناشئة وفي قلوبهم. فهذه الغاية هي القاعدة الأساسية في بناء الفرد الجزائري، وعليه نجد الإبراهيمي عمل على إيضاح هذا الهدف، وهذه الغاية التربوية في أسمى معانيها وأبعد مراميها.

ومن حسن حظّ الجزائر، أن الله تعالى وهبها رجلاً مربّيًا من الطراز الأوّل، ومنحه من المواهب والملكات، ما قاد به كتيبة التّربية على بصيرة ووعي بالهدف المنشود والمنهج المقصود (القرضاوي، *مقومات الفكر الإصلاحي عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي*، موقع القرضاوي مع أيمة التجديد ورؤاهم في الفكر والإصلاح www.qaradawi.net).

وإذا أردنا أن نعرف أثر التربية والتعليم الذي قامت به جمعية العلماء، فلنقرأ ما كتبه رئيسها الإبراهيمي، الذي بيّن هذه الغاية في قوله: بأنّ "جمعية العلماء هي التي حقّقت للجزائري نسبه العربي الصّريح، بريئًا من شوائب الإقراف والهجنة، وأحيت في نفسه شعور الاعتزاز بنفسه، وفي لسانه شعور الكرامة للغته، وفي ضميره شعور الارتباط بين ثلاث مقوّمات: الجنس واللغة والوطن، يمدُّها الشرق بسناه، ويغذّيها الإسلام بروحانيته" (الإبراهيمي،1971، ص36).

لقد سلك الإبراهيمي المسلك العلمي الحكيم، وهو مسلك التربية والتعليم، فكان من طريقته في التربية أن يرمي إلى تصحيح الفكرة، وصقل المعرفة، وترقية الرّوح، وتقوية الخلق، وتسديد الاتجاه في الحياة.

فالغاية التي كان يقصدها من تعليم النشء الجديد، هي تعريفه بنفسه وبقضيته ومعرفة تاريخه، والعمل على أن يكون على قدر من التأسيس الشّرعي، والإلمام بلغه دينه، ولقد لقي الإبراهيمي في سبيل تحقيق هذه الغاية كلّ المتاعب، وتجشم الصّعاب لبلوغها.

وكان رحمه الله يؤثر التربية على التعليم، ويحرص على غرس الفضائل في نفوس تلاميذه وقد صاغ كلّ تلك الأهداف والغايات التربوية في مقالاته المبثوثة في آثاره (الإبراهيمي،1971، ص ص215-313)، ونذكر منها اجتزاءًا قوله: "وغاية الغايات من التربية –هي توحيدُ النشء الجديد في أفكاره ومشاربه، وضبطُ نوازعه المضطربة وتصحيح نظراته إلى الحياة... ينظر إلى الحياة –كما هي– نظرة واحدة ويسعى في طلبها بإرادة متحدة، يعمل لمصلحة الدين والوطن بقوة واحدة" (الإبراهيمي،1971، ص303).

كما كان يتخوفق من أن يتعرض هذا الجيل من ابناء الأمة للتشويش وأن تهتز ثقافته العلمية والفكرية والتربوية، بعدما بذل في سبيل إيجاده وتحقيقه كل الجهد والتعب، فكان غرسه غرسا نافعا ثابتا ويتوفر على مقومات جيل هذه الأمة المنشود (الإبراهيمي،1971، ص49).

سابعا– دوائر التربية الأخلاقية ودورها عند الإبراهيمي:

للتربية الأخلاقية ثلاث دوائر عند الإبراهيمي هي: المنزل–المدرسة–المجتمع.

لقد تزامن مع نشاط جمعية العلماء الإصلاحي قيام حركة تشييد وبناء المدارس والمؤسّسات التربوية الخاصّة، التي استلهمت روح المنهاج التربوي الذي بلوره الشيخ الإبراهيمي، والتي أسبغت على مناهجها وأساليبها وتنظيماتها طابعًا إسلاميًا، تكاملت فيه ميادين العقيدة والتزكية والفقه. وتظافرت فيه جميع جهود العاملين لمعالجة الأمراض، الفكرية والنفسية، التي ضربت المجتمع الجزائري آنذاك.

انتشرت هذه المدارس انتشارًا واسعًا شملت أغلب مدن وقرى البلاد، وكان الإبراهيمي واحدًا من الرّواد الذين يُنسب لهم شرف التأسيس والتشييد، وقد صرّح بذلك في قوله من غير تردّد "ما دمنا من بناة هذه

المدرسة، ومن أوّل الدّاعين إليها، والقائدين لحركتها والواضعين لبرامجها والمشرفين على كلّ دقيقة وجليلة فيها، والمعرّضين للبلاء في سبيلها– ففينا من الجرأة ما يدفعنا إلى الجواب عن هذا السؤال. الغاية من المدرسة هي تربية هذا الجيل وتعليمه" (الإبراهيمي،1971، ص303).

إلاّ أنّ التربية ليست مدرسة فحسب بل هي ثمرة تفاعل إيجابي بين هذه الدوائر الثلاث.

ولقد تنبّه الإبراهيمي إلى أهمية المحيط وأثرُه في العملية التربوية. إذْ أنّ توفير الرّعاية الصالحة في المنزل والصّحة والمدرسة عامل فاعل في مكوّنات شخصية المتربّي، وهذه المهمّة يجب أن يتعاون فيها البيت والمدرسة (الإبراهيمي،1985، ص158).

إنّ مسؤولية تربية الأطفال غاية في الخطورة، وتتجلّى هذه الخطورة أكثر لمّا يغفل أولياء الأمور عن أداء واجبهم والقيام بدورهم، فطفل اليوم هو مسؤول الغد، ومن هنا تتعاظم مسؤولية دوائر التربية التي يتقلّب فيها الطفل، بدءًا بالأسرة ومرورًا بالمدرسة وانتهاءً بالشارع.

ولذلك انصبّ اهتمام الإبراهيمي على هذه الدّوائر بصورة ملفتة لما لها من دور أساسي في تربية النشء، ولعلّ أهمّ هذه الدوائر عنده هي:

1– دائرة الأسرة: تعتبر الأسرة أهمّ مؤسّسة تربوية تعنى بتربية النشء، فهي النواة الأولى لتخريج الإنسان الصّالح، وقد أولاها الإبراهيمي اهتمامًا بالغًا في نظرته المتميّزة للعملية التربوية باعتبارها النواة الأولى في المجتمع، ولأنّها ترتبط ارتباطًا وثيقًا بحياة المجتمع (بدوي، د.ت، ص135).

فالعلاقة القائمة بين الأسرة والمدرسة، وتأثير كلّ واحد منهما في الآخر، كشف عنه الإبراهيمي في قوله: "إنّ البيت عند الأمم الحيّة هي أخت المدرسة. كلتاهما مكمّلة للأخرى فالتلميذ بينهما يتقلّب بين عاملين من عوامل التثقيف والتهذيب" (الإبراهيمي، 1985، ص163). إلاّ أنّ الإبراهيمي لاحظ أنّ دور التربية في الأمّة معطّل ومهملٌ من كلّ رعاية وعناية وتوجيه، بل لاحظ أنّ دورها اقتصر فقط على الاهتمام بالمظاهر العامة في أحسن الحالات، بل وقف على حالة التضارب في الوظيفة، فما تقوم به الأسرة تهدمه المدرسة، وما تنجح فيه هذه تفسده الأخرى، وكأنّهما ضرّتان، ولذلك نجده يقول: "أمّا البيت عندكم فهي ضرّة المدرسة، وما تبنيه هذه تهدمه تلك، وما تزرعه هذه تقلعه تلك. لأنّ قعائد البيوت جاهلات، وقعائد البيوت هي قواعده، وويل لبيوتنا من هذه القواعد ما دُمنا جاهلات" (الإبراهيمي، 1985، ص163).

فإذا لم يشب الطّفل على قواعد التربية الصّحيحة السائدة في مجتمعه، فإنّه يفشل في حياته وينحرف نحو اتجاهات شاذّة لا يقرّها المجتمع، والمسؤولية المباشرة تقع على دور الوالدين ولذلك نجد الإبراهيمي،

يحذّر من مغبّة هذا الإهمال، مبيّنًا تداعيات ذلك على سلوك الأطفال إنْ هُم تُركوا لغرائزهم الفطرية، إضافة إلى حرمانهم من التربية الصّالحة (الإبراهيمي،1985، ص164).

2- دائرة المدرسة وأهميتها في صناعة جيل الغد: إلى جانب الأسرة، تعدّ المدرسة المؤسّسة الأكثر أهمية بعد المنزل، لما تلعبه من دور فعّال في تشكيل أخلاق الطفل، وتوجيه سلوكه العام فهي أوّل فضاء يتّصل به بعد أسرته. وهي أعظم دعامة بعد دعامة الأسرة في تربية الأطفال وتوجيههم، ولما لها من مساهمة في بناء شخصية المتعلّم وتكوينه ثقافياً ومعرفياً وفق احتياجات المجتمع.

وإلى أهمية هذا الدّور الذي تلعبه المدرسة في العملية التربوية للفرد، يشير الإبراهيمي إلى ذلك قائلاً: "حياة الأمم في هذا العصر بالمدارس، ما في هذا شك، إلاّ في قلوب ران عليها الجهل، وغان عليها الفساد.... الحياة بالعلم. والمدرسة منبع العلم، ومشرع العرفان، وطريق الهداية إلى الحياة الشريفة" (الإبراهيمي، 1971، ص283).

ونظرًا لأهمية هذا الدّور الكبير الذي تقوم به المدرسة، فإنّ الإبراهيمي لا يرى طريقاً لإرواء العقل والرّوح والتماس الخير والنفع إلاّ طريق المدرسة دون سواه، مهما تشامخت الأبنية وتعالت بغاياتها وتفاخرت بمعانيها، فإنّ لبَّ النفع والخير في المدرسة وحدها (الإبراهيمي،1971، ص283).

فلا سبيل للحفاظ على خلق الطفل ودينه، إلاّ بالمدرسة التي تعتبر حجر الزاوية في بناء شخصيته. والمدرسة لا تقوى على القيام بهذا الدّور التربوي بمعزل عن دور المعلّم المرّبي الحاذق الذي يمثّل بحق الحصن الذي يحفظ أبناء هذه الأمّة من الانحلال الديني والانهيار الخلقي، ويغرس في نفوسهم الفضيلة والأخلاق. والمدرسة إجمالاً تُصلح ما أفسده المنزل والشارع (الإبراهيمي،1985، ص337).

ولذلك تركّزت اهتمامات الإبراهيمي حول إعداد التلميذ إعداداً خاصاً، ضمّنها كثيراً من النصائح المهمة، والإرشادات الهادفة، التي تعنى بإصلاح بواطن التلاميذ بالأخلاق والقيم.

فهذا الجيل هو وديعة الأمّة بين أيدي المعلّمين، لذلك فهو يوجه نداءه لهم، يحثّهم فيها على تحمّل مسؤولياتهم التربوية، حيث يقول: "إنّهم أمانة الله عندكم، وودائع الأمّة بين أيديكم، سلّمتهم إليكم أطفالاً، لتردّوهم إليها رجالاً، وقدّمتهم إليكم هياكل لتنفخوا فيها الرّوح، وألفاظاً لتغمروها بالمعاني وأوعية لتملأوها بالفضيلة والمعرفة" (الإبراهيمي،1985، ص161).

3- المجتمع كوسط تربوي: يُعدّ المجتمع الحلقة الثالثة للتربية الأخلاقية، ولذلك حرص الإسلام على تكوين المجتمع الصالح، كما هدف إلى تكوين الفرد الصالح والأسرة الصالحة. فمن طريق التربية يستطيع المجتمع أن يرسم الغاية النبيلة التي يريد تحقيقها لأداء رسالته الحضارية كاملة.

"فالتربية عملية اجتماعية، تربط الفرد بالمجتمع، وتجعله يشعر بأنّه متضامن معه، وأنّه مترابط مع تراث اجتماعي عام، له ماضيه وحاضره ومستقبله"(بدوي، د ت، ص136).

فالأطفال يتأثرون في هذا المجتمع بكلّ شيء، ويتشرّبون أنواع السلوك الذي يصدر منهم فيما بينهم ومع غيرهم أيضاً.

ولقد وقف الإبراهيمي على حقيقة الترابط بين حلقات ودوائر التربية الثلاثة، وتنبّه إلى تأثيرات بعضها على بعض. وأدرك أنّ بهذا التفاعل بين الدوائر التربوية الثلاث يحدث التكامل المطلوب فالطفل بينهم يتقلّب بين عاملين من عوامل التثقيف والتهذيب (الإبراهيمي،1985، ص163).

فبهذا التفاعل بين المعلّم المرّبي والمحيط الخارجي، يفسح المجال أمامه لكي يتعرّف عن قرب على المشكلات التي تتطلب العلاج، ويستطيع تشخيص الأمراض، ليتسنّى له تحديد الدواء اللاّزم، فإنّ من وجوه التجديد "الامتزاج بالأمّة والاختلاط بطبقاتها، والتحبّب إليها، ومشاركتها في شؤونها الاجتماعية، والدخول في مجتمعاتها ومعابدها، ومشاركتها في عبادتها وفي الصالح من عوائدها، فبذلك تحصل الثقة منها وتنقاد لكلّ ما نريده، وبذلك يسهل على المثقف أداء واجبه على أكمل وجه، وثقة الأمّة بالمثقفين هي رأس المال في هذا الباب" (الإبراهيمي،1985، ص356).

ثامنا– البعد الثقافي والإعلامي عند الإبراهيمي:

ممّا لا شك فيه أنّ الوضع الثقافي والإعلامي في الجزائر، في ظلّ الاستعمار وإحكام قبضته وضعٌ مأساوي، فحالة التعليم سيئة جدًّا. فقد هُجّرت ربوع العلم، وخرِّبت دور الكتب وصارت الدّيار مرتعاً للجهل والجهلاء، وانحطّ المستوى العلمي من الناحية العربية انحطاطاً كبيراً. وقد حاول الاستعمار إضافة إلى الاستعمار العسكري أن يسيطر ثقافيا وفكريا. وقد اتّضحت معالم هذا الغزو في القضاء على:

– مراكز الثقافة العربية التي تتمثّل في المدارس والجوامع وغيرها من دور العلم والثقافة.

– التراث الثقافي العربي الإسلامي مثل المخطوطات والوثائق والكتب.

– الصحافة الوطنية التي تعمل على تثقيف الشّعب، وتوعيته وتُعرّفه حقوقه وماله وما عليه (تركي، 1981، ص96).

لا شك أنّ هذا النَهب المتعمّد للتراث الثّقافي، يدخل قي نطاق محاربة الثّقافة العربية والعمل على طمس معالمها، لأنّها المقوّم الأساسي للشخصية الجزائرية، فهذا "الاستعمار القائم على الجندي والمعلّم والطبيب والرّاهب هيكل حيواني يمشي على أربع.... وإنّ الاستعمار قد قضى بواسطة هؤلاء الأربعة على عشرة ملايين من البشر، فرمى مواهبهم بالتعطيل، وعقولهم بالخمود وأذهانهم بالرّكود، وأفكارهم بالعقم...." (الإبراهيمي، 1971، ص85).

ومن هنا كانت مُعظم الجرائد والمجلاّت العربية، ما إن يلوح شعاعها في الأفق، حتى يهرع الاستعمار إلى خنقها وكتم أنفاسها، بوسائله، وإجراءاته الإدارية التعسّفية، ويعمد إلى غلقها ومصادرة أعدادها (لمعرفة التفاصيل المتعلّقة بالإجراءات المتّخذة ضد الجرائد الصادرة من قبل الجمعية يمكن الرّجوع إلى مبحث (وسائل وأساليب التجديد عند الإبراهيمي – مؤسّسة الصّحافة).

وأيّاً ما كانت الإجراءات المتشدّدة والتعسفية فإنّها لم تفتّ في عضد الجمعية، ولم تنقص من عزيمتها وإصرارها على أن يكون لها لسانا يعبّر عن أفكارها، ويعلن عن مواقفها، ويبيّن أهدافها، فعمدت إلى إنشاء وسائل تغييرية من إحياء الرُّوح وإنماء الفكر وتنويره.

وقد اعتمدت في سبيل تحقيق ذلك إلى استحداث حركية إعلامية، تتمثّل في إيجاد مجموعة من الجرائد، منها المنتقد، والسنّة، والصراط، ثمّ بعد ذلك البصائر الأولى والثانية. وقد ضاقت بها حكومة الاستعمار ذرعاً فعطّلتها الواحدة تلوى الأخرى.

وعادت البصائر –مرّة ثانية– بعد طول احتجاب لتعلّم الجزائريين حقائق دينهم وتُخرجهم من ظلمات التخلّف إلى نور التقدّم والتطوّر.

فقد قامت البصائر في طبعتها الثانية بدورها التربوي، من تعليم وتهذيب وحماية التراث الثّقافي للأمّة، ونقله من جيل إلى جيل. وأصبحت بفضل الإبراهيمي، مدرسة فريدة في البيان العربي والفكر السّديد، والرّأي الجديد، والأسلوب الفريد، ممّا جعلها تحتلّ الصّدارة في اهتمامات العلماء والمفكّرين والأدباء العرب (الحسني،1995، ص579).

وبرزت طريقة الإبراهيمي ونهجه في الكتابة والتعبير بالصّراحة والتّحدي، وبالإضافة إلى شدّة لهجة البصائر باعتبارها تجسّد لهجة الإبراهيمي وصراحته، فقد توّسعت آفاق اهتماماتها إذْ شملت إلى جانب الأوضاع الداخلية من: تعليم وتطهير للدّين من الخرافات والبدع، واهتمام متزايد بالسّياسة المحلية مجالات عربية أوسع، فطالبت بتحرير أجزاء المغرب العربي، وضرورة توحيدها والاهتمام بقضية فلسطين، والدعوة إلى الوحدة العربية، كما وقفت من قضية الشباب المسلم تدعوه إلى تعاليم دينه، وبيان لغته، ومعرفة تاريخه، وتريد منه أن يكون في مصافّ المتفوّقين الرّاشدين (الإبراهيمي، 1985، ص348).

ـ ويعتبر الإبراهيمي من بناة الصحافة العربية الحديثة في الجزائر ورائدها في هذا المجال فقد أرسى دعائمها على أُسس متينة من الإيمان بالمبدأ والتمسّك بالمقوّمات الوطنية، وبمثل هذا الاهتمام والشّمول في تناوله للقضايا الهامة، تناول بالدراسة: وضع الثقافة وحالة المثقف وما يجب أن يكون عليه:

فالمثقفون في نظر الإبراهيمي، هم خيار هذه الأمّة "وسادتها وقادتها، وحرّاس عزّها ومجدها، تقوم الأمّة نحوهم بواجب الاعتبار والتقدير، ويقومون هم لها بواجب القيادة والتدبير" (الإبراهيمي، 1985، ص352).

ونظرا لما يحتلّه المثقّف من مكانة متميّزة في عملية الإصلاح والتجديد، فإنّه مطالب بإصلاح نفسه وإصلاح مجتمعه، كما بيّن ذلك الإبراهيمي في قوله: "فإنّ أوّل واجب على المثقفين إصلاح أنفسهم قبل كلّ شيء، كلّ واحد في حدّ ذاته، إذ لا يصلح غيره من لم يصلح نفسه" (الإبراهيمي،1985، ص355).

أمّا الخطوة الثانية التي يراها الإبراهيمي هي العمل على استكمال نقائصهم العلمية، ومؤهلاتهم التثقيفية، لينطلقوا في إصلاح غيرهم من أفراد المجتمع، وهذا هو الواجب الثاني (الإبراهيمي،1985، ص355).

ولقد حظي المثقّف باهتمام خاص من قبل الإبراهيمي، وذلك لما له من دور فعّال في العملية التربوية في الفرد والمجتمع. لذلك تركّزت دعوته بصورة واضحة على إعطاء محتوى محسوس للثقافة العربية الإسلامية في الجزائر، وجعل الشباب الجزائري، يؤمن بأصالته الحضارية مؤكّداً على أنّ الاكتفاء بالثقافة الفرنسية وحدها يفصلهم عن ماضيهم ويجرّدهم من مقوّماتهم، وأنّ شخصيتهم لن تُبنى أبداً في مدارس الحكومة، لاسيما وأنّه وجد شباباً جزائرياً مُمزَّقاً بين ثقافتين وبين تعليمين أحدهما يدعو إلى التحجّر والجمود، والآخر يعمل على الانحلال والذوبان وهو التعليم الفرنسي.

ويستكمل الإبراهيمي نظرته التربوية إلى الدعوة من جهة أخرى إلى الامتزاج بالأمّة وبجميع فئاتها، والتّركيز على الطبقة المحرومة من التكوين والتعليم، لإيصال الخير والنفع إليها ورفع الأميّة والجهل عنها، وتصحيح فهمها للحياة، وتنظيف أفكارها وعقولها من التخريف (الإبراهيمي،1985، ص357).

ونخلص إلى القول بأنّ الشيخ الإبراهيمي، تسلّم زمام القيادة بعد العلاّمة الشيخ "عبد الحميد بن باديس" في التحامل على المنهج التقليدي في ميدان التربية والتعليم. فقد جنح إلى الإيمان بأنّ الإصلاح لا يكون إلاّ عن طريق التربية والتعليم الديني. بعد إصلاح موادّهما وتطوير مناهجهما في الوطن العربي والإسلامي، فعمل بقية حياته على تجسيد هذا المبدأ في الواقع، فانكبّ على إصلاح طرق التعليم الديني ومناهجه، ونادى إلى تطوير التعليم الإسلامي التقليدي، والسموّ به عن مظاهر الابتداع، والتعصّب المذهبي، الذي مزّق الأمّة وحوّلها إلى جماعات متناحرة أسهمت في تحديد أطر الإنتاج الفكري في حدود المذهب، بحيث لا تكاد ترى إنتاجًا فكريًا أو معرفيًا إلاّ ما ندر، وفي حدود ما يُصبّ في خدمة المذهب، وأخطر هذه الآثار الفكرية عزوف أتباع المذهب عن هدي القرآن والسنّة، والتوجّه بعقولهم وأبصارهم إلى مؤلّفات رجال المذهب، على اعتبار أنّها الفهم الصّحيح للقرآن والسنّة.

كما انعكست آثار هذا التعصّب المذهبي على التعليم ومؤسّساته بشكل خطير أدّى إلى فساد أهداف التعليم وغاياته، بحيث ضاق مفهوم المنهاج الدراسي الذي أصبح قاصرًا على مباحث الفقه –فقه المباني لا فقه المعاني والمقاصد– لذلك شنّ حملة حادّة على الطرق التقليدية في التدريس التي أورثت التعصّب المذموم للمذهب، والذي كان من آثاره تسرّب النزعة المذهبية إلى صفوف طلبة العلم وإفساد روابطهم، فانصبّت مساهمة الإبراهيمي في إبراز المجهود الفكري والتربوي، وتطوير هذا الفكر وإثرائه بآراء ونظريات تربوية هادفة.

ومن اقتراحاته الإصلاحية في مجال التربية والتعليم، إحياء دور العلماء وترشيد وظيفتهم، للقيام بها متجاوزين مهمّتهم التقليدية في حفظ علوم الدين وتدوينها، وعدم الاكتفاء بإملائها على طلبة العلم إملاء لا فائدة تُرجى منه في الغالب، كما انصبّ اهتمامه على تربية الفرد وإعداده إعدادًا لائقًا للحياة، فتبنّى خطّة شاملة تكاملت فيها جميع المؤسّسات والهيئات، بما يحقّق مصلحة الفرد مركّزًا بالدّرجة الأولى على الأجيال الناشئة.

فالمعارف اللاّزمة للطفل لتحصيل التربية النافعة والمثالية –حسب رأيه– هي التي يتلقّاها الطفل منذ الصّغر، ويجب أن تكون هذه المعارف منمّية في حبّه لدينه ولغته ووطنه قبل كلّ شيء، لذلك فهو يعلّق أهمية كبرى على هذه التربية، كما أوصى باجتناب الغلظة وخشونة المعاملة، لأنّ ذلك ينمّي في الطفل عند كبره رذائل سلوكية.

أمّا مجمل المعارف والعلوم التي يجب أن تكون مادة تربية الأطفال ونسيجها الأصلي، هي التي ترمي إلى تصحيح أفكاره، وصقل معارفه وترقية روحه، وتقوية أخلاقه، وتسديد اتجاهه في الحياة، كما دعا إلى تجاوز كلّ الآثار السلبية التي يفرزها التعصّب، وعمل على توحيد منهاج التربية وبرنامج التعليم.

وصفوة القول في خاتمة الحديث عن تفكيره الإصلاحي التربوي عامّة أنّ الشيخ الإبراهيمي تبنّى مفهومي التربية والتعليم في بعديهما الديني الأخلاقي أساسًا، ولكنّه لم يكن راضيًا عنهما في الصيغة التقليدية في المدارس، لذلك نادى بتطوير منهج التعليم التقليدي تطويرًا يضمن له الحياة والاستمرار.

خاتمة

ما يمكن أن نستخلصه من هذا البحث هو أن مشكلة التجديد الثقافي في المجال التربوي والثقافي ظل تتجاذبه التيارات الفكرية والصراع الإيديولوجي بين الداعي إلى ضرورة التحرر ومسايرة المجتمعات الغربية وبين مؤيد للإصلاح والتشبث بالقيم الوطنية النابعة من أصالة المجتمع الجزائري ومقوماته الوطنية والدينية المستنبطة من مبادئ جمعية العلماء المسلمين التي ترتكز على ثلاث دعائم أساسية هي الوطن، اللغة، الإسلام "الجزائر وطننا والعربية لغتنا والإسلام ديننا" وقد حمل الشيخ البشير الإبراهيمي

مسؤولية هذا المسعى الذي اعتبره المفكرون بمثابة الإسمنت المسلح والسياج المنيع الذي استطاع أن يحصن الأمة ويحافظ على أركانها.

لقد وقف الشيخ الإبراهيمي إلى حد بعيد في مسايرة الواقع ووضع معالم التجديد التربوي والثقافي، ومن خلال استقراء التراث الفكري ومعرفة مناهج التربية والتعليم ودوائر التربية الأخلاقية والبعد الإعلامي والثقافي عند الإبراهيمي، توصلت الدراسة إلى جملة من الحقائق أهمها:

– الشيخ الإبراهيمي أدلى بنظريات دقيقة تتصف بالشمول، لأنها مستنبطة من الواقع المعاش اليومي، فاستطاع بذلك إيجاد البدائل وتقديم الحلول الممكنة.

– إن مفهوم التجديد عند الإبراهيمي يتعدى المجال التربوي والثقافي إلى تحرير العقول من الاستعمار الروحاني بزعامة مشايخ الطرق الصوفية الذين شوهوا محاسن الإسلام، ومن خلاله إعداد الشعب الجزائري للوقوف في وجه الاستعمار لانتزاع حريته وذلك بالاعتماد على بعض مؤسسات التنشئة الاجتماعية أهمها، المسجد، مؤسسة التربية والتعليم، مؤسسة الصحافة، تأسيس النوادي العلمية، تأسيس الجمعيات وتفعيل دورها.

– انصب اهتمام الإبراهيمي حول إحياء دور العلماء وترشيد وظيفتهم على أن تتعدى إلى تربية الفرد مركزا على الأجيال الناشئة.

– عمل على توحيد مناهج التربية وبرنامج التعليم.

– في المجال الثقافي عمل الإبراهيمي على إعطاء محتوى محسوس للثقافة العربية الإسلامية في الجزائر قصد تحصين الشباب من الانحلال والانسلاخ.

– أما فيما يخص البعد الإعلامي فأعطاه قسط كبير من الاهتمام، فالفضل يرجع له في بناء الصحافة العربية الحديثة في الجزائر من خلال إرساء قواعد متينة والتمسك بالمقومات الوطنية.

– أما في مجال الكتابة والتعبير، فقد توسعت اهتماماته عبر جريدة البصائر لتشمل إلى جانب الدعوة إلى التعليم وتطهير الدين من الخرافات والبدع ومعالجة موضوعات السياسة المحلية، مجالات عربية واسعة، والدعوة إلى الوحدة العربية.

وفي الأخير نستطيع القول أن تجربة الشيخ الإبراهيمي في مجال تحديد المضامين التربوية والثقافية تبقى من التجارب الرائدة في العالم العربي، لأنها تجاوزت إطارها التربوي والثقافي إلى جميع مناشط الحياة السياسية والاجتماعية، وبالإمكان الاستفادة منها اليوم لتقويم الوضع مسايرة للتحولات الراهنة التي تستوجب الانخراط فيها لتجديدها وإصلاحها وفقا لمنهج علمي دقيق.

قائمة المراجع:

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع
- الإبراهيمي، محمد البشير.(1971)، من آثار البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- بدوان، بلال.(2008)، التجديد الثقافي، مفهومه وحاجاته، دنيا الوطن، المتاح في الموقع http://pulpit.alwatanvoiice.com/coulent/print140662.html
- الحسني،محمد الهادي.(1995)، الإمام محمد البشير الإبراهيمي، رئيسًا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الموافقات، العدد04.
- تركي،رابح.(1981)،التعليم القومي والشخصية الجزائرية،ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائ.
- زرواتي، رشيد.(2007)، مناهج وأدوات البحث في العلوم الاجتماعية، ط1، شركة دار الهدى للطباعة والنشر،عين مليلة، الجزائر.
- بدوي،السيد محمد.(د.ت)، المجتمع والمشكلات الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د.ت.
- المناوي،عبد الرؤوف، و القدير فيض.(1972)، شرح الجامع الصغير، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- مدونة محيط المعرفة المتاح في الموقع www.mo7inana.com.2014.06/bloq-post_7721.html
- القرضاوي، يوسف، مقومات الفكر الإصلاحي عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي، موقع القرضاوي مع أيمة التجديد ورؤاهم في الفكر والإصلاح www.qaradawi.net
- القرضاوي، يوسف.(1988)، من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1988.
- أبو الفضل ،جمال الدين.(1996)، محمد بن مكرم، ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت.